عبد الغني الملاح

رحلة حضارية ولمحات تراثية

عبر

ألف ليلة وليلة

دار الكتاب الجديد - بغداد

عبد الغني الملاح

رحلة حضارية ولمحات تراثية

في
الف ليلة وليلة

من البحوث التي ساهمت في الندوة
العربية للفلوكلور المنعقدة في بغداد من
١ ــ ١٠ اذار / ١٩٧٧

فذلكة موجزة

نلاحظ ان معظم الذين تكلموا عن كتاب الف ليلة وليلة اهتموا بصورة عامة بالبحث عن مصادر اخيلته وعن اقاليم تدوينه او جمعه وعن مؤلفه او مؤلفيه .

فمن قائل (ليس لهذا الكتاب من كاتب)[1] ، ومن قائل (ان واضعه كاتب سوري وضعه بلغة مبسطة سهلة متوخيا تعليم اللغة العربية الى الراغبين فيها اكثر من توخي الاقتراب الى افهام الناس)[2] ، ومن قائل (ان واضع الكتاب اكثر من

---

(١) مقدمة الف ليلة وليلة : المطبعة الكاثوليكية ط٤ بيروت .

(٢) الشيرواني : مقدمة الطبعة الفارسية .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج٤ ص٩٠ .

مؤلف واحد)[٣] ، ومن قائل (ان اصل الكتاب هندي)[٤] ، ومن قائل (ان الكتاب هندي مطعم بالقصص الفارسية وللعرب فيه بعض الفضل)[٥] .

والى جانب هذه الاراء نجد قصتين اصليتين من قصص الف ليلة وليلة كانتا معروفتين من القرن الثاني للهجرة)[٦]، هذا في الوقت الذي نقرأ فيه ما كتبه ابن النديم بما يشبه التأكيد ان واضع الف ليلة وليلة هو (ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري) صاحب كتاب الوزراء ، وقد ابتدأ بتأليف الف سمر من اسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لايتعلق بغيره ، واحضر المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات ما يحلو بنفسه ، وكان فاضلا فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام

---

(٤) هومر وشيكل : الطبعة الكاثوليكية عن النسخة الانكليزية .

(٥) الطبعة الكاثوليكية .

(٦) هلال ناجي : المورد ص٤٥ العدد (٢) المجلد (٢) وزارة الاعلام العراقية .

يحتوى على خمسين ورقة واقل واكثر ، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء نفسه من تتمته) ، ويستطرد ابن النديم فيقول (وقد رأيت من ذلك عدة اجزاء بخط ابي الطيب اخي الشافعي)[٧].

مثل هذا القول يضع علامة استفهام على بعض ما ذهب اليه المستشرقون والباحثون العرب من أن الف ليلة وليلة هندية التسجيل أو فارسيته . مترجمة الى العربية ، كما حدث لحكايات (كليلة ودمنة) ، بل يوحي لنا كلام ابن النديم ان هناك حكايات يتناقلها المسامرون فأخذ (ابو عبدالله الجهشياري) عنهم واختار بنفسه ما يحلو وسجله في ثمانين واربعمائة ليلة ، وهناك ما يجعلنا ان نتصور ان تلك الليالي التي كانت تضم كل ليلة منها خمسين ورقة أو اكثر أو اقل انتشرت في الف ليلة وليلة ، وتداخلت حكاياتها ببعضها فاصبحت بعض الليالي لا تزيد على بضع ورقات بل ورقتين احيانا ويحين الصباح وتسكت شهرزاد عن الكلام المباح .

لا نشك أن كتاب الف ليلة وليلة بالاضافة الى كونه نابعا من مخيلة الشعوب الشرقية بصورة خاصة ، والحضارات

---

(٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٣ طبعة القاهرة .

العالمية القديمة بصورة عامة ، فان للعرب الدور الاكبر في تسجيله واخراجه بشكله النهائي وايصاله الينا بصيغته الاخيرة

عن طريق تداخل الحضارات القديمة والوسيطة وتشابكها ابتداء من الاساطير البابلية وقصص العالم السفلي مرورا بالالياذة والاوديسة وصراع الجبابرة واقتباسا من اساطير الهند وعقيدة تناسخ الارواح حتى العصور المتاخرة كاختراع المدفع وظهور الطربوش ، واستعمال مفردات لغوية عامية بحته بعضها لا يزال مستعملا في العراق ومصر وسوريا .

وعلى سبيل المثال لا الحصر اذكر بعض هذه المؤشرات التاريخية للدلالة على ان النص الاخير جاء متاخرا في حدود القرن السابع عشر الميلادي بل الثامن عشر .

في حكاية القلندري او الصعلوك الثاني مع الثلاث بنات يرد شعر للشاعر ابي الحسن يحيى بن عبدالعظيم الجزار المعروف بشاعر الكنافة ، وقد عاش هذا الشاعر في اواخر الدولة الايوبية [٨]، واحدث من مؤشر شاعر الكنافة كلمة

---

(٨) حكم اخر سلاطين الدولة الايوبية (الملك الافضل) في (١٣٣٢ - ١٣٤١) .

(قلندري)[9] كصفة لرجل حلق لحيته وحاجبيه خلافاً للتقاليد السائدة ، ويحدد لنا ابن بطوطة زمان ظهور هذه العادة الصوفية بعهد السلطان الملك المنصور قلوون[10] الذي حكم مصر في بداية عهد المماليك ، وينسب ابن بطوطة الطريقة الصوفية القلندرية الى (الشيخ جمال الدين الساوي) ويعتبره مؤسسها ، ويروي سببا طريفا لحلق لحيته وحواجبه كعلامة فارقة للطريقة القلندرية والحكاية بحد ذاتها تكرار عجيب لقصة النبي يوسف مع أمرأة العزيز كما وردت في الكتب المقدسة •

يقول ابن بطوطة (يذكر ان السبب الداعي للشيخ جمال الدين الساوي الى حلق لحيته وحاجبيه انه كان جميل الصورة حسن الوجه ، فعلقت به امرأة من ساوة وكانت

---

(٩) **حكاية الحمال والثلاث بنات ص(٢٤) ـ طبعة بولاق ، الف ليلة وليلة •**

(١٠) **رحلة ابن بطوطة ص(٢٩) دار التراث ، وقد سجل ابن بطوطة هذه الحادثة سنة ٧٢٥ هـ ، ١٣٢٤ م ، اقرأ اثر المعدة في الادب العربي للاطلاع على اخبار شاعر الكنافة لبهيج شعبان ص١٠١ طبعة بيروت •**

تراسله وتعارضه في الطريـق ، وتدعوه لنفسـها وهـو يمتنع ويتهاون فلمـا اعياهـا امره دست له عجوزا تصدت له ازاء دار على طريقه الى المسـجد وبيـدهـا كتاب مختوم ، فلما مر بها قالت له : ياسيدي اتحسن القراءة ، فقال نعـم ، قالت له هذا كتاب وجهه لي ولدي احب تقرأه علي ، فقـال لها ، نعم ، فلما فتح الكتاب قالت له ، ياسيدي ان لولدي زوجة وهي بأسطوان الدار فلو تفضلت بقراءته بين بابي الدار بحيث تسمعك ، فاجابها لذلك ، فلما توسط بين البابين اغلقـت العجوز الباب ، واخرجت المرأة جواريها فتعلقن به وادخلته الى داخل الدار ، وراودته المرأة عن نفسه ، فلمـا رأى ان لا خلاص له قال لها اني حيث تريدين ، فاريني بيت الخلاء، فارته اياه فادخل معه الماء وكانت عنده موسى جديدة ، فحلق لحيته وحاجبيه وخرج عليها فاستقبحت هيئته واستنكرت فعله وامرت باخراجه ، وعصمه الله بذلك فبقي على هيئته فيمـا بعد)[11] وبهذه الحكاية يعطينا ابن بطوطة فكرة عن بدايـة (حلق الذقون والحواجب كعلامة للطريقة الصوفية عنـد

---

(١١) رحلة ابن بطوطة ص٣٠ ، دار التراث ٠

القلندريين) وعن تاريخ تسرب مثل هذه الذقون والحواجب المحلوقة الى الف ليلة وليلة ، كما اننا نجد عجوز ابن بطوطة التي تصيد المعشوقين لحساب الجواري تظهر باكثر من مكان في حكاية الف ليلة وليلة ، كحكاية دليلة المحتالة وحكايـة عزيزة وعزيز وحكاية علي الزئبق وزينب النصابة .

ويحدثنا ابن بطوطة بكرامة صوفية للشيخ الســـاوي نفسه نجد اثرها في اكثر من مكان في كتاب الف ليلة وليلة .

فيقول (يذكر انه لما قصد الشيخ جمال الدين مدينـــة (دمياط)(*) لزم مقبرتها ، وكان بها قاض يعرف بابن العميد فخرج يوما الى جنازة بعض الاعيان ، فرأى الشيخ جمـــال الدين بالمقبرة ، فقال له ، انت الشيخ المبتدع ، فقال له، وانت القاضي الجاهل تمر بدابتك بين القبور وتعلم ان حرمـــة الانسان ميتا كحرمته حيا ، فقال له القاضي واعظم من ذلـك

(*) يبدو ان اهـــل دمياط يصدقون الخوارق بسرعة ، فقـد حدثنا كتاب العيون (مخطوط) ان مشعبذا ظهر في مصر في عهد الاخشيد وادعى انه مقطوع اليد ، واعاد الله يده كما كانت لزهده وشهد له اهل دمياط بذلك امـــام الاخشيد .

حلقك لحيتك ، فقال له اياي تعني ، وزعق الشيخ ثم رفع رأسه فاذا هو ذو لحية سوداء عظيمة[١٢] فعجب القاضي ومن معه ونزل اليه عن بغلته ، ثم زعق ثانيا فاذا هو ذو لحية بيضاء حسنة ، ثم زعق ثالثا ورفع رأسه فاذا هو بلا لحية كهيئته الاولى[١٣] ، ومن المؤشرات الاقرب عهدا بعهدنا الحالي ورود كلمة (المدفع) في بعض الحكايات كحكاية (بدر الدين حسن بن نور الدين) فهل يجوز لنا ان نتصور كاتبا أو حكواتيا استعمل كلمة مدفع بمعناها الفني الحديث

---

(١٢) للدلالة على أهمية اللحية العظيمة عند القضاة ، نشير الى الواقعة التي رواها (الذهبي) في تاريخ الاسلام وملخصها (كان في بغداد في سنة ٣٦٨ هـ قاض اسمه احمد بن سيار له لحية طويلة ويلبس دنية (طيلسانا) طويلة وله هيبة ، فقدم اليه امرأتان ادعت احداهما على الاخرى ، فقال للمتهمة : ماذا تقولين في دعواها ؟ قالت : افزع ، ايد الله القاضي ، قال : ومم تفزعين . قالت : لحية طولها ذراع ، ووجه طوله ذراع ودنية طولها ذراع فاخذتني هيبتها) فوضع القاضي دنيته وغطى بكمه لحيته وقال : قد نقصتك ذراعين ، فاجيبي عن دعوتها) . متز ج١ ص٤٠١ .

(١٣) رحلة ابن بطوطة ص٣١ دار التراث .

قبل اكتشاف البارود بل قبل اختراع الالة التي تقذف البارود لهدم القلاع • بل قبل تعريب هذا الاختراع وتسميته مدفعا ، بل قبل انتقال هذه الكلمة من معناها العسكري الخاص الى استعمالها من قبل العامة في حكاياتهم وتشبيهاتهم المدفعية ، واقرب من كلمة المدفع لنا ورود كلمة (طربوش) في اكثر من مكان من حكاية (عجيب بن بدرالدين حسن)(١٤) ، ومن المعروف تاريخيا ان الطربوش اصبح شعارا للرأس بعد اصلاحات مراد الرابع حوالي سنة ١٦٢٣م ، وكلمة طربوش ذات هوية مصرية أو سورية(١٥) ، لان اهل العراق يستعملون كلمة (ڤينا) في بغداد و (فيس)(١٦) في الموصل للدلالة على هذه الاسطوانة الحمراء التي اختارها السلطان شعارا للرأس بعد ان اعجبته على رأس غانية بلغارية كما يقال • وهناك كلمة عامية سورية الاصل لا تزال نسوة اهل

---

(١٤) الف ليلة وليلة : العشرون وما بعدها ج١ ، ص(٥٦) ط • بولاق •

(١٥) اول من ادخل صناعة الطربووش الى مصر ، محمد علي باشا الكبير بعد سنة ١٨٠٨م •

(١٦) فينا مأخوذة من فينا عاصمة النمسا ، وفيس من الكلمة الانكليزية (فيز) وكلمة طربوش من الكلمة الفارسية (سر بوش) ومعناها غطاء الرأس •

الشام يستعملنها للتعجب من حدوث أمر غريب غير متوقع أو سماع خبر غير مألوف وهي (يوه) [١٧]، وقد وردت هذه الكلمة باكثر من حكاية من حكايات الف ليلة وليلة ، وهي نفس كلمة (وي) الموصلية التي تستعملها الموصليات لنفس الغرض مع اظهار السخرية بما سمعن أو رأين وقد تطورت هذه الكلمة الى (يوى) كصفة للرجل الذي لا يحمل الامور بمحمل الجد فيقال له (يوي) اي ساخر من كل شيء بدون تحفظ ومن المؤشرات التاريخية ايضا ورود اسماء اقمشة مصرية الصنع مثل الديبقي وابو قلمون ، وقد عرف قماش (ابو قلمون) في القرن الخامس الهجري [١٨] ، واما العمائم الكبيرة التي طول قماش العمامة الواحدة مائة ذراع فقد رأى ابن بطوطة احد المشايخ في جامع الاسكندرية بعمامة تملأ المحراب [١٩].

ساتطرق بعجالة الى بعض حكايات الف ليلة وليلة متلمسا الينابيع الحضارية التي زودت هذه الحكايات باللمحات الانسانية ، والتراثية .

---

(١٧) الموصليون يشتقون كلمة (يوكي) للرجل الساخر .

(١٨) رحلة ناصر خسرو ص ٣٧ .

(١٩) رحلة بن بطوطة ص(١٨) .

نماذج بعجالة

حكاية السندباد البحري

اخترت حكاية السندباد البحري لان معظم الباحثين قالوا انها ذات اصل هندي بل منهم من قال انها هندية مترجمة ، أو ان كاتبها هندي اسمه السندباد [٢٠]، ولنسلم جدلا ان حكاية السندباد هندية البناء ترجمت الى العربية ، ولكننا نلاحظ موادها الاولية واخيلتها ذات شبه عجيب بمواد بناء الاوديسة الاغريقية واخيلتها وخصوصا في سلوك ابطال الحكايتين او الملحمتين ، أما كون ابطال (الاوديسة) مزيجا من الالهة وانصاف الالهة والبشر فهذا لا يعني شيئا بالنسبة لظهور حكاية السندباد بشكلها الحالي بعصر اسلامي يحرم تعدد الالهة فاستبدلت بالشياطين والجن واكلة لحوم البشر

---

(٢٠) المسعودي مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٩٠ .

والأفاعي والقرود والملوك ، وان كان مسرح احداث الاوديسة جزر بحر ايجة مرورا بجزيرة قبرص حتى (نهـر مصـر) فلا يمكن للبحار العربي أو الهندي ان يقرب حكايته مـن اذهان الناس ما لم يغير المسرح غير المعروف الى مسـرح معروف عند العامة والخاصة وهي طريـق الهند والبحـر العربي وجزره حتى الساحل الافريقي ، وهي الطريق التي لا تغيب عن مخيلة الانسان العربي أو الهندي وادراكـه ، لانها طريق بعض حياته الاقتصادية وكانت الاسفار تجـري محاذاة لسواحل معروفة قبل العهد العباسي بزمـن طويـل ويحدثنا عن مسالكها الاصطخري [٢١] بكثير من التفصيـل •

وقبل ان نبحث عن أوجه الشبه بين حكايات السندباد البحري وحكاية اوديس احد ابطال (أسبارطة) نعتـرف بفضل السيدة (عنبرة سلام الخالدي) [٢٢] التي اشارت الى هذا التشابه في مقدمتها لترجمة (اوديسة هميروس) •

وبعد هذا الاعتراف تتابع مسيرة بطلي الحكايتين ومـا

---

(٢١) ادم متز : الحضارة الاسلامية ج٢ ، ص٣٨٧ •

(٢٢) عنبرة الخالدي : مقدمة الاودسة ، طبعة دار العلـم للملايين •

لاقاه كل منهما من العجائب والمصائب في سفرتيهما البحريتين .

اوديس أحد ابطال الحرب الطاحنة التي دارت بين اسبارطة وطروادة ، ، وكانت تلك الحرب حربا سياسية بين الاغريق (الاسبارطيين) وبين الغرباء الذين اسسوا مستعمرة طروادة ، بل (اروادة) على هضبة تطل على بحر مرمرة ، وقبل الاستطراد اليس من الافضل ان نتعرف على هوية الطروادين أو الاروادين . وربما يكونون قد سموا مستعمرتهم اروادة وعرفوا بهذا الاسم تذكرا او تذكيرا بموطنهم الاصلي ، الذي قد يكون هو جزيرة (اروادة) العربية في البحر العربي أو جزيرة اروادة المقابلة لمدينة طرابلس اللبنانية حاليا في البحر الابيض المتوسط مما يشير الى انهم كنعانيون ومما يؤيد هذا الاتجاه في اصولهم ان مدينة (اروادة) سمتها الالياذة بمدينة (فريام) وهو أسم ذو بناء كنعاني ، وقد ورد اسم (فرايم) صريحا في لوحة اثرية وجدت في البرازيل مكتوب فيها (هنا نحن بني كنعان من فرايم)[٢٣]،

---

(٢٣) اللسان العربي : العدد الثاني (كانون الثاني) ١٩٦٥ ص٣٥ راجع مغامرات لغوية ، لعبد الحق فاضل ص١٤٨ .

وهكذا اصبحت الوثائق التاريخية تتجمع لتعطينا فكرة عن أهل طروادة بل اروادة وعن اصولهم الكنعانية فالعربية ، عندما هاجمهم الاسبارطيون كان ذلك بدافع ابعاد خطرهم عن بلاد الاغريق ، ومن هنا بلغت فرحة الاغريق بانتصارهم فرحة تخللتها الاساطير ولعبت الالهة اليونانية دورا كبيرا فيها وبعد ذلك الانتصار الحاسم عاد الابطال الى بلادهم بعد ان قتل منهم من قتل وغدر منهم بمن غدر من زملائه ، وكان اوديس بطل حكايتنا ممن تاهوا في البحر عشر سنوات قبل ان يرجع الى موطنه الاصلي فلقي من الغرائب والعجائب ما لقيه السندباد البحري العربي أو الهندي بعد ذلك بزمن طويل .

نلاحظ ان اوديس مكث ردحا من الزمن عند نهر مصر وقد امسكت به آله مصر لانه لم يقدم لها القرابين فنصحته الالهه (اثينا) ان ينصب كمينا للاله (فروتس) ويأسره ولا يفك اسره الا بعد ان يسخر الرياح لسفنه حتى يبحر ، والحيلة التي اتبعها اوديس في اسر الاله (فروتس) هي نفس الحيلة التي اتبعها السندباد في انقاذ نفسه من جبل (الماس) . اوديس اتى باربعة جلود من عجول البحر المسلوخة حديثا واختفى هو وبحارته داخلها بانتظار آله البحر ليأسره ، والسندباد

اختفى باشلاء الغنم المسلوخة بانتظار النسر الذي رفعه من اعلى الجبل وانزله الى الوادي بعد ان حصل على شيء من حجر الماس الثمين فكلاهما حقق رغبته بالاستعانة بالاختفاء داخل جلود الحيوانات المسلوخة ، واما بالسنبة لورود كلمة (الماس) في حكاية السندباد كحجر ثمين فانها تعطينا مؤشرا تاريخيا لصياغة الحكاية باسلوبها النهائي ، ان الاهمية التي اعطاها السندباد لحجر الماس تضعنا على أبواب القرن الخامس الهجري ، لان الماس قبل هذا التاريخ لم يكن من الاحجار الثمينة ولم تكن له القيمة التي تستحق المغامرة او القيمة التي نعرفها في عصرنا الحالي حتى ان الثعالبي (٢٤) لم يذكره في قائمة الاحجار الكريمة عندما ذكر فيروزج نيسابور وياقوت سرنديب (جزيرة سيلان) ولؤلؤ عمان ، واما البيروني فلم يعط اية اهمية للماس واكتفى بقوله انه يستعمل في القطع والسم بخرسان والعراق ، وكان الناس يفضلون عليه الاحجار الملونة ذات البريق ، وكان الملوك والكبراء يستعملون الفصوص الكبار منه في قتل انفسهم اذا وقعوا في

---

(٢٤) لطائف المعارف ص ١١٦ .

قبضة العدو [٢٥] فيتلعونه فيموتون ، فاهمية الماس التي اعطاها لنا السندباد البحري هي اهمية متاخرة نسبيا وذات دلالة على تطور صيغة كتابة الف ليلة وليلة .

هناك تشابه اكثر وضوحا بين السندباد وبين اوديس فعندما مر اوديس بجزيرة (السيكلوب)[٢٦] اصطاده ذلك العملاق ذو العين الواحدة ورفاقه البحارة وسجنهم في كهف وراح يأكلهم اثنين اثنين كما اصطاد العملاق الاسود في جزيرة الزنج السندباد ورفاقه وراح يأكلهم واحدا واحدا مما يدل على انه اقل شراهة من زميله وان كان عملاق اوديس يأكل البشر احياءا فكان عملاق السندباد يشويهم على النار مما يدل على ذوقه الرفيع في اعداد الطعام[٢٧] وتخلص السندباد من محنته بحيلة فقأ بها عيني عملاقه وهرب وتخلص

---

(٢٥) البيروني : الجواهر ص ٣٥٢ .

(٢٦) السيكلوب : عملاق له عين واحدة حسبما جاء في الاساطير اليونانية راجع الاودسة ص ٩٨ ، طبعة دار العلم للملايين .

(٢٧) في هذا اشارة الى اكتشاف النار واستعمالها لشي اللحوم .

اوديس بنفس الحيلة بعد ان اسكر عملاقه بنبيذ الالهة وشد نفسه بكبش مر من بين رجليه وهرب مما جعل الاله بوسيدون يعبر عن حنقه بعد ان سلب اوديس البصر من عين ولده العزيز (السيكلوب) وتنتقل صورة السيكلوب الاغريقي ذي العين الواحدة الى الحكايات الشعبية فيظهر العملاق ذو العين الواحدة في العراق فيقتله الامير محمد(٢٨) .

وفي الأوديسة ينقلب الاله (فروتوس) اثناء مصارعته لاوديس الى اسد ثم ثعبان فنمر فدب بري ضخم فماء حار فشجرة مزهرة ثم يقع في الاسر ، أما هذه التغيرات عند السندباد فتظهر بفعل السحرة . ويقضي على المارد بذكر الله سبحانه وتعالى او بفعل قضيب سحري حصل عليه السندباد من غلامين زاهدين وقتل به الحية الاسطورية التي ظهرت له ، ونلاحظ ايضا ان سفرة اوديس طالت عشر سنوات

---

(٢٨) احمد الصوفي : الحكايات الشعبية : طبعة وزارة الاعلام العراقية .

وتستمر سفرات السندباد[29] السبع بما يقارب هـذه الفتـرة ويلتقي اوديس بالهة شريرين والهة خيرين ويلتقي السندباد بملوك خيرين وملـوك شريرين ، وتتحطم سـفن اوديـس على الصخور الحادة وينجو بمعجزة كذلك تتحطم سـفن السندباد وينجو بمعجزة ، ويقتات اوديس الفواكه والاثمار اثناء مروره في الغابات ويفعل السندباد الشيء نفسه ، وامـا الخمر الالهي الذي شربه اوديس بكثرة فانه كان محرمـا عند السندباد بحكم الشريعة الاسلامية ، ويلتقي اوديس بارواح ابطال يعرفهم فيحكون له اخبار الاحداث التي جرت لهم في حياتهم الدنيوية ويلتقي السندباد بشياطين وعفاريت ، ويصنع اوديس افلاكا من خشب الغابة ويفعل ذلك السندباد ايضا .

لا نجزم بان هذا التشابه جاء نتيجة لاطلاع مـؤلف

---

(٢٩) **قصص السندباد التي تكلم عنها المسعودي ، في مروج الذهب وقال انها من تاليف طبيب هندي اسمه السندباد تحمل عناوين تختلف تماما عن حكايات السندباد فـي الف ليلة وليلة مما يدل على انها حكايات اخرى .**
واتفاقها بكلمة (السندباد) ربما جعل المتأخرين يتصورون انها من تأليف الهند .

حكاية السندباد على الاوديسة اطلاعا مباشرا ، ولكن يجب ان لا تفوتنا حركة ترجمة الاثار اليونانية والفارسية والهندية في عصر المأمون[٣٠] فظهرت كتب الخوارزمي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي بعد ذلك بقرن من الزمان أو قرنين . وقبل هذه الفترة كان الانسان العربي قد عرف اسماء جزر الهند واسس جاليات اسلامية قوية في سرنديب (سيلان) وعلى ساحل الزنج شرق افريقيا وفي عام ٧٥٨م كانت الجالية العربية ومعهم الفرس المسلمون من القوة في مدينة (خانغون) كانتون حاليا حتى انهم كان يخشى بأسهم[٣١] وبدأت تظهر قصص البحارة العرب (كرحلة التاجر سليمان في القرن التاسع الميلادي وقد اعتنى بها وزاد عليها ابو زيد السيرافي [*] كما أعتنى بها في تاريخنا المعاصر وترجمها الى اللغات الاوربية المستشرق ادم متز . فمن وراء هذه القصص والتجارب انتشرت عجائب المخلوقات الحيوانية البرية والبحرية التي رأينا مثلها في حكاية السندباد وسجلت هذه العجائب في الكتب

---

(٣٠) ادم متز : الحضارة الاسلامية ج٢ ، ص ٤٢٠ .

(٣١) ادم متز : الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص ٤٢٠ .

(*) كتب التاجر سليمان رحلته سنة ٢٣٧ هـ ٨٥١ م .

كما فعل القزويني في تسجيله (عجائب المخلوقات)[٣٢]، والدمشقي في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) وكتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد لشهاب الدين احمد بن ماجد[٣٣].

وارى ان نقف قليلا عند شهاب الدين بن ماجد الملاح الذي عاش في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وكان هو الذي أرشد سفن (فاسكو دي غاما) البرتغالي الى كلكتا فكان ذلك سببا لاقامة المستعمرات البرتغالية ، ويدعي ابن ماجد الملاح في مؤلفه الذي عثر عليه في مكتبة باريس الوطنية سنة ١٩٢١ م مخطوطا منسيا ، يدعي انه هو الذي استعمل البوصلة في رحلاته .

---

(٣٢) ادم متز : الحضارة الاسلامية ج١ ، ص ٣٨٦ راجع القزويني طبعة فوستفيلد سنة ١٨٤٩ ، وقد عاش ، والف كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات حوالي سنة ١٢٨٢ .

(٣٣) الدكتور انور عبدالعليم : ابن ماجد الملاح طبعة القاهره من سلسلة اعلام العرب .

وعندما نقرأ ملاحظات السندباد البحري عن الفارس الذي يحمل سهما يشير الى أطراف الدنيا الاربع فليس لنا من سبيل غير ربط سهم الفارس بالبوصلة البحرية اذ من المعروف ان البوصلة البحرية ظهرت عند الصينيين وعند العرب ، ويجب ان نفرق بين الابرة المغناطيسية التي اكتشفها الصينيون وبين تقسيم دائرة الافق الى الجهات الاربع الاصلية وتسجيل ذلك على ورقة لمعرفة اتجاه الرياح وقد عرفت هذه (بوردة الرياح) وكان العرب اول من استخدم هذه الطريقة، ويقول ابن ماجد الملاح بانه هو الذي استعملها مستفيدا من تجارب ابيه وجده البحرية وعندما تظهر (وردة الرياح)ممثلة بفارس السندباد فانها تعطينا مؤشرا قويا على عروبة حكاية السندباد بالنسبة لتفاصيلها بعد ان لاحظنا توافق هيكلها العام مع الاودسة . أما ظهور الفيلة والقرود وعجائب الحيوانات وعجائب البشر فهي جزء من التجارب البحرية يلاحظها الانسان العربي مثلما يلاحظها الهندي او الفارسي، ومثلما يسمع العربي حكايات التجار والمسافرين فيسجلها كذلك يسمع غيره فهي تراث التقاء الشعوب ببعضها وتداخل حضاراتها من غير قصد .

حكاية عمر النعمان وولديه
شركان وضوء المكـــان

نجد في هذه الحكاية معارك الحروب الصليبية (٣٤) في معظم ادوارها ، ان كان بالنسبة لمسرح الاحداث التي تـدور في بلاد الروم أو في القدس ودمشق وبغداد والموانىء التـي نزل منها الصليبيون قادمين من (بحر الروم) البحر الابيض المتوسط والقسطنطينية والمستعمرة الصليبية (قيسرية) أو كان بالنسبة لابطالها فهم ملك القسطنطينية وملك قيسريـــة وامير دمشق وسلطان بغداد وجيوش فرنســـا وجيـوش النمســـا وجيوش جنوة وجيوش البندقية وجيوش (دبـــــــري)

---

(٣٤) حدثت الحروب الصليبية بحملاتها كافة ما بـــين (١٠٩٧ ـ ١٢٩١)م .

الفرنسية[٣٥]. وتستمر المعارك عدة اجيال ، فيموت الملك عمر النعمان مسموما بيد جواسيس الروم فيتسلم القيادة ابنه شركان ويموت شركان بعد ان جرت محاولة لاغتياله فيتسلم القيادة أخوه ضوء المكان الذي كن عمره في عمر ابنه ثم يعقبه بعد موته ولده (كان ما كان) ويساهم في تلك المعارك الاكراد مما يذكرنا بجيوش صلاح الدين الايوبي وجيوش الاتابكة وملوك الموصل واربيل في تلك الحروب الطاحنة ، وتعطي الحكاية دورا مهما للاميرة الرومية (ابريزة) التي ساعدت المسلمين على جيوش ابيها ملك قيسارية ، ويعطي دور اخر اكثر اهمية لبنت ملك القسطنطينية الاميرة (صفية) التي انجبت للملك عمر النعمان أبنه ضوء المكان وأبنته نزهة الزمان ومثل هذه الادوار لغير المسلمات ذات دلالة للنظام الاجتماعي المعمول به في ذلك العصر وربما اختيار الاسم (صفية) كان مقصودا لدلالته الروحية بالنسبة لام المؤمنين (صفية) زوجة النبي محمد[٣٦].

---

(٣٥) اسماء الجيوش الصليبية جاءت نصا في حكاية عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان في كل الطبعات .

(٣٦) صفية بنت حي اخطب تزوجها الرسول محمد بعد معركة خيبر راجع سيرة ابن هشام ج٣ ، ص ٣٢٤ .

وفي كتب التراث الاسلامي نجد مسيحيات حلمن بانهـن سيلدن رجالا لهم شأن كبير فأسلمن سرا حتى تحقق حلمهن[٣٧].

وحكاية الملك (عمر النعمان) مطعمة بحكايات متداخلة يحكيها الوزراء للامراء تثقيفا أو مضيعة للفراغ تنم عن تفسخ المجتمع في تلك العصور ، ومن هذه الحكايات الداخلة في صلب الحكاية الاساس حكاية (عزيز وعزيزة) وهي تكرار لما حدثنا به ابن بطوطة عن محنة الصوفي الشيخ جلال الدين الساوي ، اذ تعرضت عجوز للشاب عزيز ودعته ليقرأ لها مكتوبا على مسامع ابنتها في الدار فاغلقت عليه الابواب ، واخبرته الجارية العاشقة ان دارها لا تفتح الا مرة واحدة في السنة فيصبح تحت الامر الواقع .

وتختلف النتيجة في هذه الحكاية ، فلم يحلق لحيته كما فعل (الساوي) بل طاب له المقام فراح يتناول ما لذ له من مأكول ومشروب ومشموم ويمارس لعبة الدجاجة

---

(٣٧) محمد الصدر : الغيبة الصغرى ، ص ٢٤١ ـ ٢٥٥ .

والديك من غير غريم او شريك ، ويعترف انه وقع في حب (جارية بغدادية لا تعرف الا الدنيا والدينار)[٣٨] تغني له أو يغني لها اعذب الاشعار .

وهناك اساليب أخرى غير اسلوب استدراج الانسان لقراءة المكتوب من أجل ايصال المحبوب الى محبوبته أو من اجل اصطياد الرجل حسن الصورة من قبل النساء ، وذلك برميهن التفاح من الشبابيك أو ارساله الى الحبيب معضوضا وكانت هذه العادة من صميم العرف في الغرام في العهد العباسي حتى المتقدم منه (فكان لابد من تهادي العشاق بالهدايا الصغيرة مراعاة للذوق ففي كثير من الاحيان ترسل المحبوبة تفاحة عليها اثر عضتها له)، ويصور لنا مثل هذه العضة ابن المعتز بقوله :

وآثار وصل في هواك حفظتها
تحيات ريحان وعضات تفاح
وكتب لطاف تربها المسك ادرجت
على وصف احزان وتعذيب ارواح [٣٩]

---

(٣٨) جاءت هذه الجملة نصا في كتاب الاغاني ج١٩ ، ص ١٣٩

(٣٩) ديوان ابن المعتز ج١ ، ص ٣٨ .

ويقول ايضـــا :

جاء الرســـول مبشرا بزيـــارة
من بعـد طول تهجـــر وتغضب

وبكفـه تفاحـة قـد مســـكت
اثـار عضتها كقرنـــي عقـرب (*)

ويقول مخلد بن بكار الموصلي :

فجـــرت تفاحـة معضوضـة
بين مـــن أهـــوى وبيني فوصـل (**)

ويقول ادم متز ان عادة عض التفاح من قبل المحبوبة وارسالها الى حبيبها كانت من عادات الرومان[40].

(*) ونجد التفاح يلعب دوره في الميثلوجيا عند الشعوب مـا قبل الرومان ، فباريس (بطل الالياذة) حكم بان تعطى التفاحة الذهبية الى الالهة (فروديت) دون زميلاتهـــا الهات الاغريق لقاء ان تمنحه حب (هيلين) مما سبب حرب طروادة ، وقصة تفاحة حواء التي اخرجت ادم من الجنة معروفة لدى الجميع .

(**) محمود الجومرد : شاعر المنارة مخلد بن بكار الموصـــلي ص٥٧ .

(٤٠) ادم متز : الحضارة الاسلامية ج٢ ، ص ١٩٨

وتتجسد امام القارىء في الحكاية الاساس حكاية عمر النعمان اساليب التجسس المتبادلة بين المسيحيين وبين المسلمين واساليب الاغتيال بالسموم والخناجر واساليب الغدر والخيانة بين الوزراء وامرائهم وملوكهم وما ارى محاولة اغتيال ضوء المكان من قبل وزيره وزوج اخته ساسان بالخنجر المسموم الا اثرا من اثار طائفة الحشاشين واساليبهم في محاولة اغتيال صلاح الدين الايوبي فنجا منها كما نجا ضوء المكان من المحاولة • وقد صيغت الحكاية بأسلوب القرون المتأخرة من حيث انها تعتمد على انواع البديع وخصوصا السجع، فكثيرا ما نقرأ مثل هذه الفقرة (ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه •• واظهر ما في بطنه من عجائبه •• واخذ في الكر والفر حتى ضاقت الصدور •• وقل الصبر للمقدور •• وصاح ضوء المكان وهجم على ملك القسطنطينية فريدون وضربه ضربة اطاح بها رأسه وقطع انفاسه) •

كما نقرأ ايضا في مكان آخر « ونادى المنادي ، لا تبقى بنت مخدرة ولا مرأة موقرة ولا عجوز مكسرة الا وتخرج الى لقاء العروسة » •

واكثر من ذلك التزاما بالسجع ما حمل كاتب الحكاية على جعل اسماء ابطالها المسلمين كلها مسجوعة ، فالملك اسمه عمر النعمان واسم ولديه شركان وضوء المكان وأبنته نزهة الزمان ووزيره دندان وزوج ابنته ساسان ، وحتى الزبال الذى كان يوقد النار في القدس للحمامات عندما ارتفعت منزلته الى درجة وزير اصبح اسمه زبلكان .

حكايات أخرى

لابد وان تمر بنا حكاية علي ابن بكار مع شمس النهار[٤١]، ونحن نقرأ الف ليلة وليلة ، والبطل في هذه الحكاية شاب مليح القامة حسن الشكل كامل الصورة مورد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب [illegible] (البسط والانشراح)[٤٢]، وكان يجلس بدكان احد التجار توقعت في حبه وراسلته ، وبعد ذلك يتضح ان هذه الجرية احدى جواري الخليفة وقد خرجت على التقاليد وعشقت احد ابناء العامة .

---

(٤١) الف ليلة وليلة ج٢ ص ٤١ طبعة بولاق ، وجميع الطبعات .

(٤٢) مثل هذا النص لايزال السوريون يستعملونه للدلالة على الانس والطرب .

وبعد مفارقات غرامية ومرض وحسرة وتوجع بموت علي بن بكار ثم تموت الجارية حسرة عليه ويكتشف الخليفة حبهمـــا الحقيقي بعد فوات الاوان •

ومثل هذه الحكاية يحكيها لنا ابن الجوزي في المنتظـم كحادثة حقيقية وقعت لجارية السيدة شغب ام الخليفة المقتدر وعشقها لاحد اولاد التجار(٤٣)، واما وصف البساتين الخاصة وما بها من لقاء العشاق وما تضمنه من حور وغلمان فانهـــا تنطبق على ما رواه لنا التنوخي(٤٤)، عن جماعة من الكتاب في القرن الرابع الهجري كانوا قاصدين مصر ، فلما وصلـــوا دمشق اقبلوا يخترقون الطرق لا يدرون اين ينزلون ، حتى اجتازوا برجل شاب حسن الوجه جالـــس عـــلى بـــاب دار شاهقة وبناء فسيحة وبين يديه غلمان فدعاهم الى النزول عنده والح عليهم فاستجابوا من حسن ظاهره وهيئته وقبلـــوا الدعوة

---

(٤٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص ٢٥٦ ، وعبد الغني الملاح ، لمحات موجزة عن الموصليين في اغانيهم الشعبية (مخطوط) ورقة ٤٢ •

(٤٤) ابن حجة الحموي : ثمرات الاوراق ج٢ ، ص ١٦٣ طبعة مصر •

فأكرمهم اكراما غريبا في بابه وضيفهم بضروب الضيافة فأقبل غلمان يخدمونهم • واحضروا لهم الطشوت والاباريق فغسلوا وجوههم • ثم أجلسوا في مجلس حسن مفروش بانواع الفرش • ثم عرض عليهم الحمام • فدخلوه ودخل معهم غلمان مرد وصبيان في نهاية الحسن فخدموهم بدلا من القيم ثم خرجوا الى مجلس آخر وقدمت اليهم مائدة حسنة عليها الوان الطعام فأكلوا • ثم دخل غلامان امردان في نهاية الحسن • فغمزا أرجلهم حتى لحقهم من ذلك مع الغربةوطول العهد عنت فأمروهما بالانصراف وتعففوا عن التعرض لهما لنزولهم على صاحبهما • ثم اخذوا الى مجلس في بستان حسن • واحضروا الانبذة الطيبة • فشربوا اقداحا يسيرة • ثم ضرب صاحب الدار بيده على ستارة ممدودة • واذا جوار خلفها فأمرهن بالغناء • فغنين احسن غناء فلما توسطوا الشراب ، قال صاحب الدار للجواري ما هذا الاحتشام لاضيافنا أعزهم الله؟ أخرجن ، وهتك الستارة فخرج عليهم جوار لم ير قط أحسن ولا أملح ولا أطرف منهن • ما بين عوادة وطنبورية وزامرة وصناجة ودفافة ، بفاخر الثياب والحلي ، وأحطن

بالضيوف فأشتدت محبتهم لهن • ولكنهم ضبطوا انفسهم ، فلما كادوا ان يسكروا ومضى بعض الليل ، أقبل عليهم صاحب الدار وقال : ياسادة ان تمام الضيافة وحقها الوفاء بشروطها وان يقوم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاج اليه من طعام وشراب وجماع • وقد نفذت اليكم نصف النهار الغلمان فأخبروني بعفافكم عنهم • فقلت هم أصحاب نساء • فأخرجت هؤلاء فرأيت في انقباضكم عن ممازحتهن ما لو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا ؟ فقالوا ياسيدي اجللناك عن ان تبذل ما في دارك • وفينا من لا يستحل الحرام • فقال هؤلاء مماليكي وهن احرار لوجه الله تعالى فمن اراد ان يتزوج ومن اراد ان يتمتع)(٤٥) •

هناك اكثر من مثل تشابه او تطابق بين حكايات الف ليلة وليلة وبعض ما رواه ادباء معروفون في كتب التراث كالتنوخي وابن الجوزي وابن بطوطة وغيرهم ، وفي حكاية القلندري او الصعلوك الذى سحره المارد قردا يجيد كتابة

---

(٤٥) ابن حجة الحموي : ثمرات الاوراق على هامش المستطرق ج٢ ص ١٦٣ طبعة مصر •

الشعر ويلعب الشطرنج ويخط بالخط الرقعي وخط الثلث وقلم المشق تشابه بما نقله لنا ادم متز من كتب التراث(٤٦) عن القرد الذى ظهر في حران وقد دربه صاحبه تدريبا خاصا والبسه فاخر الالبسة مدعيا انه امير هندي سحرته زوجة ابيه وكان يبتز بهذه الشعبذة عواطف الناس عند صلاة الجمعة واموالهم وفيهم من يحوقل أو يبسمل ويتأسف لهذا القرد المسحور والامير المغدور ويتعوذ من كيد النساء .

---

(٤٦) ادم متز : الحضارة الاسلامية ج٢ ، ص ١١٩ عن كشف الاسرار للجواهري (مخطوط) من احداث (٦١٣) للهجرة.

نمـــــوذج مهـــم

قبل ان نتناول نموذجا خاصا ونعامله بشيء من التفصيل اقترح ان نقرأ حكاية غانم ابن ايوب واخته فتنة ، فكأن كلمة (ايوب) تجعل بطلها يتميز بالصبر على المصائب بالرغم من عفته وحسن سيرته وتدينه ، وهكذا كان حال ابن ايوب الذي انقذ (قوت القلوب) جارية هارون الرشيد من موت محقق بعد ان دفنها عبيد السيدة زبيدة سرا فحفر الحفرة التي وضعت فيها فعطست وعادت الى الحياة ، وهذه (العطسة)[47] تذكرنا بما روى ابن الجوزي في المنتظم عن أمر (رجل من باب الازج توفي ونودي عليه فاجتمع الناس في مدرسة عبدالقادر للصلاة عليه،

---

(٤٧) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ، ص ٨٥ من احـداث ٥٣٤هـ للهجرة .

فاما اريد غسله عطس وعاش) وقد وقع ابن ايوب بعد ذلك بمصائب وغربة وافلاس وامراض وتشرد هو واخته وامه وكان صابرا على كل ما جرى له حتى انحسرت عنه المصائب .

واري ان اقف قليلا عند كلمة (ايوب) المرادفة للصبر على المحن فهي تشير الى (نبي) انحدرت اخباره (اولا) من التوارة في السفر المعروف باسمه(٤٨) وقد لاحظ المستشرقون ان سفر ايوب كتاب قائم بذاته ادخل على التوارة ، ويقول المستشرق فرانك فوستر(٤٩) . ان ايوب كان عربيا ولم يكن يهوديا أو عبرانيا وقد انحفنا بانفس ما انتجته القريحة العربية من القريض ويدل على ذلك بناء اسمه (ايوب-بكسر الهمزة- أو أيوب)(٥٠) ومسرح الحوادث التي يرويها سفره هو شمال الجزيرة العربية وموطنه في نواحي (ادوم) العربية اضف الى ذلك ان صديقه (اليعاز)(٥١) كان من أهل (شيماء) العربية

---

(٤٨) العهد القديم : سفر ايوب .

(٤٩) فيلب حتى : تاريخ العرب المطول ج١ ، ص ٥٥ .

(٥٠) لسان العرب ج١ ص ١٧ طبعة صادر .

(٥١) اليعاز اسم علم : دخل التوراة محرفا عن اسم العام العربي الجاهلي (العاص) .

ايضا ولعل سفر ايوب وضع اصلا في اللغة العربية فاذا صح ذلك يكون أقدم ما لدينا من مخلفات عرب الجزيرة ، وبعد ان عرفنا ان (ايوب) عربي واسمه ذو بناء عربي الا يحق لنا التأمل في هذا الاسم لرده الى صيغته الحقيقية ، فلماذا لا يكون الاسم ايوب محرفا عن اسم (يعرب)[٥٢] مثلا والصبر الذي تحمله من فاقة ومرض وموت اولاد جزء اساس من الحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية وقساوة الصحراء واعرافها القبلية في الغزو وصناعة المحن في عصور الجاهلية الاولى .

ومن الاحداث التي تمر بنا كثيراً بصورة رئيسة أو بصورة عرضية ان يعثر بطل الحكايات على مدن في باطن الارض بها ناس قد مسخوا اصناما وتماثيل ومعهم كنوزهم الذهبية والتفسير الوحيد لهذه المشاهدات هو العثور على اثار بابلية او شومرية أو اية حضارة قديمة ، ولم يكن لدى

---

(٥٢) يقول الفيروز ابادي في قاموس المحيط ج١ ، ص ٣٧ اياب الشمس شروقها وايوب الشمس غروبها ، فأيوب تعني غروب ، والفرق بين (يغرب) و (يعرب) نقطة مهملة بين حرفي الـ (غ) والـ (ع) يخطيء بها القارىء او لا يخطي بالنسبة الاقلام العربية غير المنقطة .

المكتشف المقدرة على اعطاء الاهمية التاريخية لذلك فيفسره بكون أهل هذه المدينة كانوا كفرة فمسخهم الله احجارا جامدة(٥٣).

وارى ان لاتفوتنا اخبار اللصوص وآثار الفتوة والعيارين وهي منتشرة في قصص الف ليلة وليلة ، وفي كتب التراث نقرأ اسماء اللصوص المشهورين (كابن حمدون)(*) الذي ظهر في القرن الرابع الهجري ، وكان يقوم بالسرقة والنهب ما بين واسط وبغداد، كما حدثنا ادم متز(٥٤) وياقوت الحموي(٥٥).

---

(٥٣) من المعروف في الميثولوجيا العربية ان الصنمين أسافا ونائلة اللذين عبدتهما العرب في الجاهلية كانا رجلا وامرأة من جرهم عشقا بعضهما وفسقا في الكعبة فمسخهما الله صنمين ، راجع محمود سليم الحوت والميثولوجيا عند العرب ص ٥٤ .

(*) لعل هذا اللص او غيره كان من اسباب اثارة الاخيلة في وضع حكاية علي بابا والاربعين حرامي

(٥٤) ادم متز : الحضارة الاسلامية : ج٢ ص ٣٩٥ .

(٥٥) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج١ ص ١١٩ ط برلين.

حكايـة الملك والحشيش السحري

ما قلته لحد الان لا يتعدى ملاحظات عاجلة عن بعض الحكايات ولكن الان سأتناول تحليل حكاية واحدة بالتفصيل ومتابعة شعابها الوافدة اليها وشعابها المنسلخة عنها كنموذج للطريقة التي يمكننا بها دراسة الف ليلة وليلة دراسة واسعة ومنهجية وذلك في وضع خط تحت كل كلمة ذات دلالة تاريخية أو ميثولوجية او فلوكلورية واردة في صلب الحكاية وتتبع هذه الكلمة حتى جذرها او قريبا من تربتها التي نبتت فيها ، والحكاية التي سنعالجها بهذا المنهج هي حكايـة (الملك والحشيش السحري)[٥٦].

---

(٥٦) احمد الصوفي : الحكايت الشعبية ٤٦

تقول الحكاية : « كان لملك ثلاثة اولاد واصيب بمرض عضال فوصف له حكماؤه حشيشا سحريا لا يمكن شفاؤه بدونه وفشل الاخوان الاكبران في الحصول على الحشيش السحري فخرج الابن الاصغر واسمه الامير محمد للحصول عليه ، ومن خلال مغامرته قيل له ستمر بخروفين واحد اسود وواحد ابيض فان تمسكت بالابيض سينقذك وتبلغ مرادك وان تمسكت بالاسود ستهبط الى العالم السفلي ، وحسب ما هو مقدر يخطىء الامير محمد فيتمسك بالخروف الاسود فيهبط الى العالم السفلي فيمر بقرية كئيبة يلمح فيها عجوزا مقعدة جالسة على باب بيتها ، فتقدم منها متوسلا يطلب ملجأ وطعاما وماء فاصغت الى قصته بتأمل ثم قالت ، أما عن الملجأ فبيتي صغير لا يسعك ويسعني واما عن الطعام فانا كما تراني مقعدة لا أكاد أقدر على المشي كما اني شديدة الفقر ، واما عن الماء فقالت :« ليس في هذه المدينة غير عين ماء واحدة يستمد جميع الاهالي ماءهم منها الا ان عملاقا اسود ماردا جبارا لا يستطيع احد منازلته وقتله قد حبس الماء عن اهل القرية ولم يعد يسمح لهم به الا ساعتين في كل اسبوع

بشرط ان يقدموا له في كل ساعة الطعام الذي يريـــــده مصحوبا باجمل بنت من بنات القرية واذا لم يقدم له ذلك قطع الماء عن المدينة في الساعتين أيضا(٥٧)، فقرر الأمير محمد مقاتلته وانقاذ بنت الملك المرشحة الاخيرة للعمـــلاق وانقـاذ القرية من العطش ، فكمن له عندما كانت بنت الملك مربوطة قرب عين الماء ثم نازله في مصارعة بطولية واجهز عليه وانقذ القرية وتزوج بنت الملك مكافأة له .

هذا ملخص الحكاية ، فلنتابع الان شعابها الكبـــيرة والصغيرة فهناك كلمة (الحشيش السحري) فاذا ما تتبعناهـــا فستقودنا حتما الى النبات السحري الذي راح يفتش عنـــه قلقميش (كلكامش) من أجل الخلود بعد ان مات صديقـــه (انكيدو) وبعد ابحاره الى بطل الطوفان (اوتنبشتم) وبعد ان عثر عليه سرقته الحية فخلدت وراح قلقميش يجر الحسرة على ضياعه منه .

ولنقف قليلا عند الخروفين الابيض والاسود لكي تتذكر

---

(٥٧) احمد الصوفي : الحكايات الشعبية ص ٤٦

الكبش الاسود الذي لا تشوبه شائبة[٥٨] والنعجة السوداء اللذين ضحى بهما اوديس بطل اسبارطة (للاله اريبوس) بنصيحة من الربة (سيرسة) لكي يصل بلاده بسلام ، أو لتتذكر دولتي الخروف الاسود (قره قوينلي) والخروف الابيض (أق قوينلي)[٥٩] اللتين حكمتا بالتعاقب شمال العراق وفارس بعد الدولة الجلائرية واما كلمة (العالم السفلي) فتقودنا الى الحضارة البابلية وتجرنا جرا الى قراءة اسطورة نزول عشتار الى العالم السفلي الذي لا يعرف النور ويلبس سكانه ثيابا ويطيرون باجنحة كالخفافيش ويأكلون الطين ويشربون الوحل ، كما تذكرنا بكل ما في هذه الاسطورة من رموز الموت والحياة ، وكانت عشتار قد استشارت وزيرها قبل النزول لانقاذ حبيبها (تموز) وطلبت منه ان تاخرت ثلاثة ايام وثلاث ليالي ان يتوسل بالاله (انليل) ليردها الى عالم النور ، ثم تحدثنا الاسطورة عن (ماء الحياة) الذي

---

(٥٨) عنبرة الخالدي : الاودسة ص ١٢٨

(٥٩) تأسست الدولتان بالتتابع في شمال العراق وخرسان سنة ١٤١١-١٥٠٨ م ٠

رنت به وتم انقذها ، وهو لا يختلف (رمزا) في هطـــول الامطار وبعث الحياة في النباتات عــن الحشيش السـحري بمفعوله بالنسبة للاساطير الاخرى .

ومن اهم ما في هذه القصة هيكلها الذي يتفق تماما مع قصـة (المار جرجيس) وقتله التنين ، وقبل ان نقرأ قصة (المـــار جرجيس) أليس من الافضل ان نتعرف عليه تاريخيا يقـــول الدكتور فليب حتي انه جندي من اللد عاش في عهـــــد الامبراطور الروماني (ديوملتيان) واسمه (جاور جيوس) وقد يكون من أصل كنعاني اعتنق المسيحية وامن بالسيد المسيـح واظهر شجاعة فائقة وقتل سنة ٣٠٣ بعد الميلاد[٦٠] وكـــان قد انقذ اميرة من الاسرة المالكة خلال حياته فاحيطت بالغموض والاساطير .

وقصته مع التنين تتلخص بان سيطر وحش له عدة رؤوس كل رأس يمثل حيوانا وحشيا على عين ماء في قرية (جونيه)

---

(٦٠) **فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج١ ، ص ٤٣٦ وج٢ ص ٢٢٧ .**

في لبنان وكان ذلك الوحش لا يدع اهل جونيه يشـــربون من تلك العين ما لم يقدموا له الطعام واجمل بنات القريـــة حتى نفذت الجميلات ولم يبق غير بنت الملك فتحمـــس (المار جرجس) وركب حصانه وحمل رمحه وقاتل التـــين كما فعل الامير محمد مع العملاق في العالم السفلي في ارض العراق ، حتى قتله وقضى عليه وعلى رؤوسه المتعددة وانقـذ بنت الملك ، ونجد حكاية المار جرجس مع التنين مكررة تماما مع حكاية بهنان مع التنين ايضا ولا يزال (دير المار بهنـان) في قرية الخضر والبسطلية قرب مدينة الموصل يحتفظ عـلى جدرانه بلوحة رائعة تصور المار بهنان يقاتل التين مثلمـــا لا يزال خليج جونيه في لبنان يسمى خليج القديس جرجيس، واذا اردنا ان نحلل رؤوس الوحش الخرافي (التنين) فلاشك اننا نتوصل الى انتقال الانسان الصياد الذي كان يطـــــارد الوحوش ويصطادها لاغراض اقتصادية ، الى انسان زراعي مستقر في القرى فراحت الوحوش تتربص لـــه وتخطـــف حيواناته أو اطفاله ، وهكذا اصبحت الوحوش هي التـــي تمثل العدو الاساس للانسان الزراعي بعد استقراره في القرى

فراح يحمي نفسه ويحمي مدجناته واطفاله منها فكانت مثل هذه الحال توجب ظهور صياد بطل يكون حاميا للقريـــــة وقديسا يستحق الاحترام ، فالرؤوس الكثيرة للتنين رمـــوز للحيوانات المتعددة التي كان يخشى الانسان شرها ، كالاسد والذئب والحية والنمر وغيرها .

وقصة التنين تقودنا للتعرف على الاله الاغريقـــــي (هركليس) هرقل ، ومبارياته مع الحيوانات الاثني عشـــر والتي اصبحت رموزا للابراج السماوية الاثني عشر ومصاحبة هركليس لحيوان نصفه اله ونصفه بشر يذكرنا مرة ثانيـــة بقلقميش الذي ثلثاه اله وثلثه بشر ومصارعته لانكيدو وثـــم مصارعة انكيدو للثور السماوي ، وكان هناك الـــه كنعانـــي شبيه لهركليس هو (ميكوتس) واصل الكلمة (ملقارت) اي (ملك قارط) ومعناها ملك المدينة(٦١).

وقبل الانحدار مع مجرى الحكاية الاساس لابد مـــن

---

(٦١) فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطـين ج١ ، ص ١١٣ .

الاشارة الى ان الرقم (١٢) الذي ورد في مباريات هركليس هو رقم ميثولوجي اولا ثم اصبح مقدسا عند بعض الحضارات القديمة فالشمس عند الصابئة المندائيين تسير من الشرق الى الغرب في زورق سماوي يحرسه اثنا عشر ملاكا[٦٢] ،وكان في صحبة اوديس خلال رحلته الى جزيرة (السيكلوب) اثنتا عشر سفينة ، وسقى بحارته اثنتي عشر جرة من النبيذ الالهي ، وايلوس الأله له اثنا عشر ولدا وربة البحر المخيفة في الاساطير اليونانية لها اثنتا عشر قدما ضئيلات مشوهات ، وعدد الحواريين عند السيد المسيح اثنا عشر رجلا ، ويدخل الرقم كل الحضارات الفلكية في تقسيم السنة الى اثني عشر شهرا والنهار الى اثنتي عشر ساعة والليل مثله ، وهناك اكثر من حضارة تنحدر بها الميثولوجيا الى تقديس هذا الرقم او أعطاء اهمية روحية خاصة له .

وطالما مر امامنا اسم الكنعانيين في اصل حكاية (المنار

(٦٢) الصابئة المندائيون : ترجمة نعيم بدوي ، راجع التراث الشعبي العدد ١ سنة ١٩٧٦ ص ٨٩ .

جرجس) أو في اسم الاله (ملقارت) ارى ان نتوقف عندهم ، مع مراجعة الف ليلة وليلة وقد ورد اسم كنعان في اكثر من مكان وخصوصا عندما يقرأ أبطال بعض القصص اشعارا تذكرهم بذهاب عاد وثمود وشداد وكنعان[٦٣] وغيرهم من المندثرين ، فلابد لمخيلتنا ان ترجع الى الحضارات القديمة عبر القرون ومن تلك الحضارات حضارة الكنعانيين ، وهم مثل غيرهم من الشعوب التي ورد اسمهم صراحة في الحفريات الاثرية والوثائق المكتوبة على الواح حجرية او اسفار قديمة ، كالسومريين والكلدانيين والبابليين والعرب والعبريين والاموريين وغيرهم ، ولكن اسما اخر من اسماء الشعوب القديمة سمعنا به عن اللغات (اللاتينية) هو شعب (الفينيقيين) ويقترح الاستاذ عبدالحق فاضل ان هذا الاسم لا وجود له كشعب ذي خصائص متميزة به ، وانما اصل الكلمة فنيقيين محرف عن بني كنعان بعد ان جرى على الكلمة تطورات لغوية ولفظية ، وقد استند الاستاذ عبدالحق فضل

---

(٦٣) **الف ليلة وليلة ج٢ ص ٨٧ طبعة بولاق .**

في ذلك الى لوحة اثرية وجدت في (البرازيل) ونشرت صورتها بالزنكغراف مجلة اللسان العربي [٦٤]، جاء فيها ما نصه (هنا نحن بني كنعان من فرايم حملنا الحضارة أليس حراما ان نحصل هذا) ويقرأ الاستاذ عبدالحق فاضل هذه الجملة بهذه الصيغة العربية (أليس حراما ان يحل بنا هذا ونحن بنو كنعان) ويتناول كلمة بني كنعان ويحللها ويشير كيف ان (بني) انتقلت الى اللغات اللاتينية (فني) حسب طريقة اللفظ الخاصة بالشعوب اللاتينية ثم اندمجت مع كنعان فاصبحت كلمة واحدة فنكيين ثم (فنكس)[٦٥] حسب قواعد اللغات اللاتينية ، وعندما اردنا ترجمتها الى العربية اخذناها مباشرة من اللغات اللاتينية فنيقيين ، وتصورنا ان الفينيقيين شعب قائم بذاته وهو غير الكنعانيين ويؤيد الاستاذ عبدالحق فاضل في هذا الرأي الاغريق انفسهم وكانوا يعتبرون الكنعانيين والفينيقيين شعبا

---

(٦٤) اللسان العربي ــ العدد الثاني ، كانون الثاني سنة ١٩٦٥ ص ٣٥ .

(٦٥) عبدالحق فاضل مغامرات لغوية ص (١٤٥ــ١٥٤) دار العلم للملايين .

واحدا[٦٦]، كما تشير وثائقهم المكتوبة .

وفي بلاد اليونان لا تزال الاسماء الكنعانية موزعة كعاصمة جزيرة (مينوركة الحالية) وهي (ماهون) واشتقها من (ماجو) الكلمة الكنعانية ، (فالمجن) اي الترس الكلمة العربية، وبالاصل كلمة مجن اسم لقائد كنعاني قرطاجي ، ونلاحظ مثل هذا التبديل في اسم (حني بعل) القائد الكنعاني القرطاجي الاخر والذي جاءنا اسمه عن اللغات اللاتينية تحت اسم (هنيبال) بينما كلمة (حني بعل) معناها (هبة الله) .

نعود مرة ثانية الى اصل حكايتنا ونجوب شعابها الكثيرة فنتابع حكاية (القديس جرجس) فنلاحظ كيف ان الاسلام رفع من قدره ووضعه في قائمة الانبياء واصبح اسمه (النبي جرجيس)[٦٧] ولا يزال في مدينة الموصل جامع يعرف باسم جامع النبي جرجيس[*] ،ولكن الف ليلة وليلة تتجه اتجاها آخر

---

(٦٦) فيلب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج١ ص٥٥ .

(٦٧) جامع النبي جرجيس معروف في الموصل وهو قائم على قبر الحر بن يوسف الوالي الاموي .

(*) يحدثنا ابن الاثير عن بعض الاساطير التي احيطت بحياة جرجيس في مدينة الموصل ، راجع الكامل ج١ ص٢١٤ .

في قدامة الاسم (جرجيس) فتسمي عفريتا ماردا من نسل ابليس بهذا الاسم وتعطيه دور البطولة في حكاية الحمال والثلاث بنات فتسميه (جرجيس بن خموس ابن ابليس) وفي بعض النسخ[٦٨] (جرجيس بن خموس ابن خالة ابليس) وكان هذا المارد قد عشق اميرة جميلة خطفها ليلة عرسها وانزلها الى العلم السفلي خوفا عليها من البشر ، حتى عثر عليها صدفة امير متنكر بزي حطاب ، ولما اكتشف المارد ذلك قتل اميرته المحبوبة جزاء وفاقا لخيانتها وسحر الحطاب قردا ، ثم تظهر مواهب القرد امام ملك من ملوك الهند ، وتعيده ابنة الملك الساحرة الى انسانيته بعد صراع وتقلبات حيوانية تذكرنا مرة ثانية بتقلبات الاله (فروتوس) الاغريقي لدى مصارعته لاوديس بطل الاديسة .

نحن لانزال في البحث عن تطورات كلمة (جرجيس) وقد سار هذا الاسم نحو الفولكلور في خطين متوازيين احداهما يمثل الحضارة الاسلامية لنبوة (النبي جرجيس) والثاني يمثل

---

(٦٨) الف ليلة وليلة : حكاية القلندري الثاني ـ الطبعة الكاثوليكية / بيروت .

الحضارة المسيحية في قداسة المار جرجيس وقتله التنين في جونيه فنقل النورمنديون اثناء الحروب الصليبية اسطورة المار جرجيس الى اوربا وانتشرت حكاية قتله التنين انتشارا كبيرا هنـــاك ، ولا يزال لحد الان في مدينة (براغ) عاصمة جيكوسلوفاكيــا تمثال قائم في احد الميادين يمثل المار جرجيس يقتل التنـــين برمحه وهو يمتطي حصانه بينما نجد ملك بريطانيا هنـــري الثامن في القرن السادس عشر (٦٩) يؤسس الكنيسة البريطانية ويعتبر ملك بريطانيا رئيسا لها و(السان جورج) الذي هـــو القديس جرجس نفسه راعيا لها ، وذلك بعد ان اختلف الملك مع البابا من اجل رغبته بالزواج مرة ثانية ورغبته بطـــلاق زوجته (كاترين ارغون) .

وفي المجتمع العراقي خاصة تستعمل كلمة جرجيـــس اسماء علم للمسيحيين والمسلمين على حد سواء . فهنـــاك (محمد الجرجيس) المسلم وهناك (رحيم جرجيس) المسيحي . ويصغر الاسم شعبيا ، تحببا أو تهكما الى لفضة (ججـــوي) وتستعمل الكلمة في الحضارتين معا . فهناك (الحاج مصطفى

---

(٦٩) حكم هنري الثامن في (١٥٠٩ ـ ١٥٤٧م) .

الججاوي) المسلم وهناك (سعيد ججاوي) المسيحي • ثم تتطور الكلمة الى (ججو) فنتعرف على عائلة (ججو الرجبو) المسلمة وعلى (صباح ججو) المسيحي وتدخل كلمة (جحو) الاغنية الفلوكلورية او تكون قد دخلت قبل تعرفنا على هذه الاسماء • فنسمع اطفال الموصل يغنون في العابهم الشعبية

كشك وعدس ما حبو •• يويا

يغلي غلوي وأصبو •• يويا

وأصبو بالبواطي •• يويا

وأقدمو الخواتـــي •• يويا

خواتي ما يغيدونو •• يويا

انعل ابو ابونو •• يويا

وأطشو بالبلوعا •• يويا

ايد (ججو) مقطوعا •• يويا

اما لماذا يد ججو مقطوعة فذلك موضوع آخر يتعلـــق بسيكلوجية أهل الموصل وتكوين الشخصية الموصلية عبـــر التاريخ •

ولم تنفرد مدينة الموصل بمثل هذه الاغنية الاقتصادية ففي المنطقة العربية ما يشابهها تماما ، إن كان بالنسبة للطبخة التي لا يحبها الآكلون او بالنسبة لتحميل المسؤولية لغير اصحابها كما تحمل (ججو) مسؤولية عدم أستساغة طبخة (الكشك وعدس) وهو لا علاقة له بها ، الا بقدر علاقة البقال الذي باع العدس ، بطبخة يجهلها . اذ اننا نجد هذه الاغنية ترحل الى دمشق بزيها الاقتصادي وتترك (ججو) وحده في الموصل لتستبدله (بالمعلم) السمبوسكاني صانع الحلويات . ويتمثل ذلك في اغنية شامية تتجه بنفس الاتجاه مع استبدال (الكشك وعدس) بطبخة اخرى تسمى (طباخ روحو)(*) تقول الاغنية :

طباخ روحو ما بحبو

او سكبوا لي لكبو

(*) طباخ روحو : طبخة شامية تتكون من شرائح اللحم والبصل والباذنجان والثوم والطماطة والتوابل تسلق سوية .

مديت ايدي لعبـــــو

خشخش كيس المصاري

عملــوا كنافي مدلوقـــا

حلفـــوا علي ما بذوقـــه

انشا الله تطلع محروقـــا

مـن ايد السنبوسكاني

لكنافي طلعـــت منزوعـــا

وايد لمعلم مقطوعـــا

حسرة بقلبو مزروعـــا

مـا فيهـــا كانـــي مانـــي

السنبو سكاني من شافـو

يمشي حامـل الدافـو

انشا الله انهدت اكتافـــو

طـق ومـات وطعماني

ثم نرى هذه الاغنية متنكرة بالحجاز بزي محلي مطرز

بومضات دينية حتى كأننا نجدها وكأنها غيرها . ولكنها هي نفسها تلك الاغنية الاقتصادية الفلوكلورية التي تمتد بنسب أو قرابة الى النبي جرجيس من بعيد .

ففي طريق الحج ما بين مكة والمدينة المنورة . أو في الطريق المؤدية الى جبل أحد من المدينة تقف البدويات يغنين للحجاج اغان يستجدون بها .

ياحاج يا مصري .. مرحبا

زور الحبيب .. مرحبا

سكر زبيب .. مرحبا

شمعة جديدة .. مرحبا

يا رب زيده .. مرحبا

ثم تذكر الاغنية انواع الاطعمة التي تتمناها المغنية للحجاج لكي يتصدق عليها بما تجود به نفسه من مال او هدايا . وتخاطب الاغنية في مطلعها جميع الحجاج كل حسب أقليمه . فتارة تقول (ياحاج يامصري) ومرة (ياحاج ياعراكي)

واخرى (ياحاج يا هندي) أو (ياحاج ياجاوي) •

والاغنية طويلة ومع الاسف لم اتمكن من تسجيلها بكاملها حينما غنتها بدوية قرب جامع القبلتين • لان اهتمامي في حينه وانا في سبيل اداء فريضة الحج لم يكن منصبا على كلمات الاغنية بقدر انصبابه على جمال عيني تلك البدوية المغنية السمراء الفارعة •

وبعد هذا لا ادعي اني اعطيت الموضوع حقه فبالاضافة الى عدة اسئلة لم اجب عنها ، فقد تعمدت الضغط على الموضوع وايجازه ، ومن الاسئلة اللي تراودني لماذا تكون اميرات الف ليلة وليلة جميلات ولماذا دائما ابطال الحكايات يتميزون بوجوه كالبدور وحسن مثالي ، ولماذا الابن الاصغر دائما هو الذي يتمكن من انجاز المهمة التي توكل اليه ، بعد فشل اخوته الكبار ، ولماذا العبيد يتميزون بالكذب والنفاق والغدر في معظم الحكايات •

ومما لا شك فيه ان الاجابة عن مثل هذه الاسئلة ذات العلاقة بالسلوك والمجتمع والعقلية القبلية وجذورها الممتدة الى ظهور البشر على الكرة الارضية تحتاج الى دراسات اكثر عقما والى تفرغ خاص يتناول حكايات الف ليلة جميعها واحـــدة واحدة ومثل هذا العمل لا يتيسر خلال بحث موجـــز كهـــذا الذي بين ايديكم .

الفهرســـت

الصفحة	الموضـوع
٣	فذلكة موجـزه
١٣	حكاية السندباد البحري
٢٥	حكاية عمر النعمان وولديه شـركان وضوء المكان
٣٣	حكايات أخرى
٣٩	نموذج مهـم
٤٣	حكاية الملك والحشيش السحري

صدر للمؤلف :

١ ـ مجد الزهور : مغناة ، دار الكشاف بيروت ، ١٩٤٩ .

٢ ـ ابو العتيق : شعر باللهجة الموصلية

طبعة اولى : مطبعة الاتحاد : الموصل، ١٩٥٢

طبعة ثانية : مطبعة الاتحاد : الموصل، ١٩٥٢

طبعة ثالثة : مكتبة الامل : بغداد، ١٩٥٢

٣ ـ المعلم عبدالقدوس : مسرحية ، مطبعة الاتحاد : الموصل ، ١٩٥٣ .

٤ ـ خواطر حاج : مذكرات رحلة الى الحجاز : مطبعة الاتحاد الجديدة ، الموصل ، ١٩٥٣

٥ ـ الحان الماضي : شـعر : مطبعة الهدف ، الموصل ، ١٩٥٥

٦ ـ التجربة بعد ١٤ تموز : خواطر سياسية : مطبعة معتوق بيروت ١٩٦٦

٧ ـ من كل بيدر حبة : مجموعة خواطر : مطبعة الحوادث ، بغداد ١٩٧١

٨ ـ المتنبي يسترد اباه : بحث في نسب المتنبي : دار التآخي، بغداد ١٩٧٤

٩ ـ المجتمع العراقي وتطور ظاهرة الانسان : دار الوطن العربي ، بيروت ، ١٩٧٥
١٠ـ تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق : ج اول : وزارة الاعلام العراقية ، بغداد ، ١٩٧٥
١١ ـ شيء عن جريدة الاهالي ما بين عامي ١٩٣٢ ـ ١٩٤٦ ، مستل من مجلة الثقافة ، بغداد ، العدد العاشر ، ١٩٧٢
١٢ ـ نزاع الذئاب : مستل من مجلة الثقافة ، بغداد ، الفصل الاول في العدد ٦ حزيران ١٩٧٢ ، والفصل الثاني في العدد ٩ أيلول ١٩٧٢ ، والفصل الثالث في العدد ٢ شباط ١٩٧٣

رقم الايداع في المكتبه الوطنيه ببغداد ١١٢٤ لسنة ١٩٧٧

طبع بمطابع شركة التايمس للطبع والنشر ـ بغداد



سعر النسخة ٣٠٠ فلسا

للطبع والنشر المساهمة ـ بغداد
طبع بمطابع التايمس